



بَصَّارٌ فِي تَارِيخِ الْكُوَيْتِ

فَهَذَا هُنْدُرُوكِي



الشَّهِيدُ مُحَمَّدُ سَلَيْمَانُ الْهَامِدِي

تَخْلِيدٌ وَرِعَايَةٌ

بصمات خالدة

العطاء، بدرجاته المختلفة، قيمة إنسانية عظيمة.. وعندما يصل العطاء إلى التضحية بالروح فإنها تجسد القيم الإنسانية لأنها تعكس سمو النفس، وعلو الهمة، ولأنها تجسد الإيمان المطلق بأن الحياة الحقيقية هي الحياة الكريمة وهذه تستحق التضحية بأثمن ما يملكه الإنسان وهو النفس... لقد تجلت جميع هذه القيم الإنسانية النبيلة في ملحمة بطولية أثناء تعرض الكويت للغزو. لقد توقف الزمن عندها ليشهد هذه الملحمة الإنسانية النادرة وليشهد عليها أيضاً ليكون بعدها توثيقاً للحدث يستهدف إعلاء شأن الوطن و شأن القيم وأعلاه لشأن الإنسان والذي هو محور كل ذلك، وتعزيزاً ودعيناً للقيم الإنسانية النبيلة التي جسستها التضحيات العظيمة لأبناء هذا البلد الأمين فقد ارتأى المكتب أن يوثق هذه القيم ضمن سلسلة من القصص التي تعكس مآثر وتضحيات أبناء هذا البلد لتظل نافذة للأجيال القادمة يشاهدون من خلالها أسمى معاني الإيثار ولينهلوا منها معاني الوفاء والعمل والحياة الكريمة..

تَخْلِيدٌ وَرِعَايَةٌ

- تكرييم الشهيد عن طريق تخليد بطولاته ورعايته ذويه رعاية متميزة في الجوانب المادية والمعنوية.



قفزة فروسية

عن قصة الشهيد (*)

سليمان محمد سليمان اللهيـب

بـقلم
الدكتورة سعاد عبدالوهاب

قفزة فروسية

(*) تمت الاستعانة بحبيبات الشهيد من كتاب د. بنیان تركی.





عبدالوهاب، سعاد. 953.8
قفرة فروسية: قصة الشهيد سليمان محمد سليمان اللهيـب / بقلم سعاد
عبدالوهاب. ط5 - الكويت: مكتب الشهيد، 2013
ص21 سم. - (بصمات في تاريخ الكويت)

- 1 - الشهيد سليمان محمد سليمان اللهيـب.
 - 2 - الكويت - تاريخ - الاحتلال العراقي (2 - 1990/8/26 - 1991/2/26).
- أ- العنوان. ب- السلسلة

Depository Number: 2005/00352

ISBN: 99906 - 84 - 03 - 0

قفرة فروسية

- ٢ -



اہم داعی

إلى أرضي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير...

إلى من يستحق التضييقه والعطاء ...

إلى الكويت

مکتب الشہید

قُبْرَةٌ فِرْوَسِيَّةٌ



بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبراء تفتح أدباً وشاعراً وفقاً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجداً نسبياً وأدبياً للتطورات السياسية والإجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونشرأ.

في مجموعتنا «**بصمات في تاريخ الكويت**» أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتل، وإرادة النصر على الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض. فعندما تحقق النصر وطرد الغزاة حكت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثقت معارك شرف وملامح شرسية، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بتصور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

«**بصمات في تاريخ الكويت**» تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهدأً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً من ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد
المدير العام لمكتب الشهيد
فاطمه أحمد الأمير

قذرة فرسية



ردت العجوز بفروسية مهجنة بلهجتها الإيطالية:

- مسيو بدر نائم، ماذا أقول له عندما يصحو؟

- سليمان الهيب ينتظرك الساعة الثالثة على قهوة أبوناشي.

نظرت خلفها، غمزت بعينها ذات الزرقة العجيبة في سن الشيخوخة، همس لها بكلام، لم تفهمه. أخذ السماعة من يدها:

- اللّه بالخير أبو داود.. (لم ينتظر الجواب) إذا كانت التحويلاً وصلت من التعليم العالي.. ترانى صاحى، وإذا لم.. أنا نايم حتى إشعار آخر ابتسِم سليمان لطريقة صديقه التي لا تتغير، ورأى أن يبادله العبث، فقال: وصلت التحويلاً ولكن الصرف بعد يومين...

قال بدر وهو يضع السماعة بحدّه: بعد يومين.. صحيني.

قهقهة سليمان في غرفته الخالية، وبحث عن كتابه الذي اختفى بين شايا الجرائد والمجلات. أمسك بالقلم وراح يضع خطوطاً تحت الكلمات لعله يستجلب التركيز، ولكن ذهنه المتوتر القلق وراح يضع خطوطاً تحت الكلمات لعله يستجلب التركيز، أمسك ذهنه المتوتر القلق لم يستجب له، وظللت أخبار الصحف الصباحية تغلي وتغور في رأسه تكاد تصدع جدرانه.

في الثالثة إلا الرّبع عاود الإتصال بدر:

- لا تقل إنك غير موجود، وأنك لم تولد بعد.. ربع ساعة وأشوفك على أبوناشي.



وبقه بأن وضع السماعة، وانطلق إلى مكان اللقاء.

في الثالثة تماماً كانا يجلسان وجهاً لوجه وبينهما طاولة رخامية
يتوسطهما مفرش من القطيفة الحمراء. بسط بدر كفه قائلاً
هات.

- ماذا؟

- التحويل. صرفاً ما في الجيب، فهات ما في الغيب!!
وضع سليمان أمامه رزمة الصحف وهو يقول: هذا ما في الغيب
يا صديقي.. أقرأ.

التوى بوجهه إلى ناحية، راح يبحث بعينيه عن الجرسون، قال
باقتناب: قرأت.

- وفهمت؟

- وما فيها شيء يستحق الفهم.. إن كنت تقصد.. ما فيها شيء..
اسمع إذاعتنا وأنت تعرف كل شيء.

قال سليمان: إذا اكتفيت بسماع إذاعتنا وحتى قراءة صفحنا..
لن تعرف أي شيء.

قال بدر: لا أصدق أنك بصفة خاصة تقول هذا، لو قاله غيرك
لا تهمته بضعف الوطنية والتجرد من الإنتماء.. لكن ينسب هذا إلى
سليمان محمد سليمان اللهيـ.. هذا مثل طلوع الشمس من المغرب..
هـات التحـويل واتركـها على الله..

- ونعم باللهـ، نتركـها على اللهـ نـعـمـ، ولكنـ كـيـفـ؟ وـمـتـىـ؟



ضحك بدر بنفس طريقة المسترخية وهو يقول: هـ.. كيف، ومتى.. هذه علمها عند أهل الحل والعقد، وزير الخارجية، سمو رئيس الوزراء.. أنا وأنت هنا.. لندرس.. ونعيش.. ولكل حادث حديث.

قال سليمان جاداً: أحسنت.. لكل حادث حديث.. وأقول لك من الحين.. إن شيئاً ما سيحدث في الكويت في مدى يومين أو ثلاثة. اقرأ هذه الصحف.. أخبار صغيرة ولكنها ستدركك..

- أقول لك للمرة العاشرة أهمل هذه الصحف.. عندي مثل ما عندك كل صحفنا القبس والوطن والسياسة والرأي العام.. إلخ. هل تجد فيها أي توقع لأحداث مهمة؟ كله كلام في كلام.

- صح.. كله كلام في كلام.. أنا أسألك يا بدر.. ما اسم هذا المقهى الذي اختربناه للقائنا؟!

- أبو ناشي !!.

- أبو ناشي في جنيف؟ أسألك اسمه الحقيقي؟

- والله نسيت.. تعودنا.. وبصراحة هذا الاسم يناسبه.. ربما هو المقهى الوحيد في هذه المدينة الذي تتوسط حديقته نخلة، ويقدم الأرجيلة والقهوة التركي بالهيل.

- اسم هذا المقهى فراسيسبلانس..

- نعم، تذكرت، ومعناها إنه أشياء تشبه الواقع.. أشياء طبيعية يعني..

- تقريراً - لكن لماذا فضلنا أن نطلق عليه - تطوعاً - مقهى أبوناشي؟

فروسيبة
فترة



تيمنا بذكريات الوطن..

- وصعوبة الاسم الأصلي..

- نسينا الأصل وصدقنا الاسم الذي اخترعناه..

- صح لسانك..

- والآن إقرأ صحف الكويت، صحف الأقطار العربية كلها..

تجد أنها تبني أخبارها وتحليلاتها على الكلام، على التصريحات، وتصريحات المسؤولين كلام منمق ليس له طعم. هذه الجرائد أمامك من أمريكا ومن جنيف نفسها لا تبني تحليلاتها على التصريحات، وإنما على التحركات الفعلية المرصودة بالأقمار الصناعية.. هذه صحيفية أمريكية وصلت اليوم.. إقرأ الخبر عن تحركات ومواقع تجمعات الجيش العراقي.. ستعرف على الفور ماذا يمكن أن يحدث قريباً.. بل قريباً جداً.

كان سليمان قد أحاط الخبر في صدر الصحيفة بدائرة من القلم الأحمر، فلم يبذل جهداً في الإحاطة بالفحوى.

غاب الصفاء من نظرة بدر، وظهر القلق في رجفة يده وهو يتناول قدح القهوة. وقال:

- حتى لو كان.. ماذا أستطيع أنا وأنت أن نفعل؟

قال سليمان بإصرار وكأنه قد فكر في الأمر طول الليل: تضع كلمة «يجب» مكان كلمة «أستطيع»، وستعرف على الفور ماذا تفعل؟





وأخرج سليمان من جيبيه تذكرة طائرة، تغادر جنيف إلى الكويت مباشرة عند الغروب. وقال بدر: حجزت لك بالاسم فقط إذا كنت ترغب، وهذا يتوقف على إرادتك.

- أنت فاجأتني.. أحتاج وقت لأفكر..

- لا يتسع الوقت للتفكير.. نفك في الطائرة.. نفك ونحن هناك..

قال بدر متعجباً: بالطائرة.. هناك؟ أنت هنا تفك بطريقة أحسن..

قال سليمان: لابد أن أنصرف لأعد حقيبتي.. سأتوقع جلوسك في المقهى المجاور.. مع السلامه..

أوشكت شمس العاشر من أكتوبر (١٩٢٠) أن تغيب. أصدر الشيخ سالم أوامره بالإنسحاب وإعادة التجمع كي يعيد توزيع قواته حسب تطور المعركة. كان فلاхи القرية أنفسهم يمثلون خط الدفاع الأول جنوب الجهراء، أما فرسان شمر بقيادة ابن طواله فكانوا جناح الدفاع الأيمن، وكان الشيخ دعيج على رأس فرسانه جناح الدفاع الأيسر.. وبقي الشيخ علي الخليفة قائداً للقلب، يحتفظ لقواته بحرية التحرك إلى الجبهات. احتشد العدو منذ الصباح الباكر، وقبل أن تكمل الشمس شروقها بدأ الهجوم. لقد اختار قطاع الفلاحين، لما يعرف من ضعف تسليحهم، وعدم وجود فرسان بينهم، ولذلك اختار العدو أن يهاجمهم بفرسانه، وقد صمدوا بضع ساعات من ذلك النهار الحار، برغم غياب الطعام ومياه الشرب وإسعاف الجرحى. لم تكن هناك خطة لتحرير الجبهات الأخرى

فترة
فروعية



لمساندة الجبهة المنهارة.. كان الخوف من كثرة العدو، بفرسانه ومشاته، أن يقيم فخاً ومصيدة، لتجتمع القوة الكويتية في موقع دفاعي واحد، فينهم السبيل من المحاور الأخرى. لهذا أمر القائد العام - الشيخ سالم - بأن يلزم كل قطاع موقعه الدفاعي وبيني استحكاماته معتمداً على نفسه. القوّق العددي قام بدور حاسم: فلاحوا الجحاء جعلوا من بيوتهم مدارس احتموا بها، أما باقي القوات فقد أخلت القتلى والجرحى وانسحبت إلى القصر الأحمر، بعد أن تلقت أوامر الشيخ سالم التي تقضي بذلك.

وفي ديوانيته التي تواجه حدائق القصر كان الشيخ متكتئاً يشارك كبار مستشاريه ورجاله احتساء القهوة العربية، ويدير الأمر في رأسه. وكان يعرف تماماً أن رباطة جأشه هي الضمان المؤكد لثبات رجاله، وبث الصمود بنفسهم. هؤلاء الرجال، بعد الالتحاق الأول في ثلاث جبهات، عرروا حقيقة العدو، فهو ليس فوق الهزيمة، وإذا كان انتصر في الجولة الأولى فإن هذا حدث بضغط أعداده الكبيرة، ومع ذلك فقد مات من هذه الأعداد عشرات، بل مئات، بنيران الكويتيين وسيوفهم، وهذا معناه أن التقطيم وقطنة القيادة وحسن التدبير يمكن أن تغنى عن الكثرة العددية، بل أن تهرم هذه الكثرة.

ابتسم الشيخ سالم في وجه رجاله مشجعاً، وقال: سنتحرك في اتجاهين.. قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: الإخوان أرسلوا مندوبياً يطلب المفاوضة على أساس المصالحة.

قال الشيخ سالم: الصلح خير، ولا يرفض السلام إلا خبيث، ولكن المهم هو أساس الصلح وشروطه. وعلى أي حال ياشيخ عبدالعزيز، أنا أقيم تفكيري على أن الصدام مستمر...



قال الشيخ عبد العزيز الرشيد: هذا هو الأحوط

الشيخ سالم: نتحرك في اتجاهين: إرسال رسول إلى الكويت يبلغ بما جرى، ويأتي بمساعدة من الرجال والسلاح. وكذلك وضع خطة لصمود القصر للحصار، وفك الحصار من حوله بالسرعة الممكنة.

قال الشيخ عبد العزيز: المفاوضة يمكن أن يكون لها دور فاعل في هذه الظروف. الشيخ سالم: أنا أفهم ما ترمي إليه يا شيخ.

الشيخ عبد العزيز: وشروطنا؟

الشيخ سالم: أنت مستشار، والمستشار مؤمن، والمهم الانسحاب وتسليم كل ما استولوا عليه من خلال أهل الجهرة، أو أي شخص في الكويت لا تنازل عن هذين الشرطين.

صمت الشيخ سالم قليلاً، أخذ رشفة من فنجان القهوة وأومأ لفداویه الخاص أن ينصرف، وكذلك للتتابع حامل دلة القهوة. لم يعد في المجلس غير أعيان الكويت وأميرهم ابن الصباح.

قال: أريد حالاً مرشد الشمرى، ومرزوق المتعب الرشيد..

فهم الشيخ الرشيد معنى الطلب، فقال: هل يكفي أحدهما ليسهل تسريبه من بين قوات الحصار؟

قال الشيخ سالم: بل الفارسان معاً، إذا تمكنا من أحدهما يفلت الآخر، وقد يكون أحدهما عوناً لصاحبه..

في غيش الغروب اعتلى مائة مقاتل سقف القصر الأحمر، وفي ثوان متتابعة انطلق البارود يدوياً وكان السماء تمطر رصاصاً،

قُبْرَةٌ فِرْسَةٌ





استولى الهلع على العدو الذي يحيط بالقصر من جميع الجهات، إذ تخيل أن هجوماً عاماً قد بدأ، فاضطررت الحلقة وانفجرت فيها ثغرة، نفذ منها الفارسان مرشد ومرزوق، كما ينفذ السهم في جدار خيمة بالية.

اختلط صوت سبابك الفرسين المنطلقين في اتجاه مدينة الكويت بأزيز الطائرة التي دخلت الأجواء الكويتية حالاً وراحت تستعد للهبوط.

منذ عامين فقط اشتباك سليمان مع مدرس التاريخ في ثانوية الدعية، في جدل حاد حول هذه النقطة بالذات. هل كان الموقع الصحيح لمرشد الشمري ومرزوق الرشيد أن ييقيا مع المحاصرين في القصر الأحمر ليشاركون في الدفاع ويوجهوا نفس المصير مما كان، أم أن يغامروا بالإفلات طلبا للنجدة؟! ماذا لو أنهما اعتذرا عن المهمة؟

قال المدرس: لا يحق لهما أن يعتذرا، فهذا أمر من يملك إصدار الأمر.

والقائد يرى أكثر من الجندي، لأن كل المعلومات تتجمع عنده. وإذا رجعت إلى النتيجة، لقد جاء أهل الكويت بعدة سفن مشحونة بالسلاح، وبالمقاتلين.. وهذا أثر في ميزان المعركة.

قال سليمان: إننا نحل الواقع التاريخي، والمعروف أن المجموعة المحاصرة في القصر هي التي حققت الإنتحار على العدو وأجبرته على الانسحاب.. أما الضغط الذي مارسته القوة القادمة من الكويت فكان يشبه ضغوط الدعاية وإطلاق الشعارات في عصرنا هذا.



قال المدرس نافذ الصبر من مجادلة تلميذه، بينما يحرض هو على الانتهاء من الدرس حسب خطة توزيع المقرر:

- والخلاصة يا بني؟

- الخلاصة أن المكان الحقيقي للفارسین كان في داخل القصر، ومنازلة العدو، والمشاركة في المصير مع الجماعة.. أما توصيل رسالة إلى العاصمة فكان يمكن الاحتيال عليه بأي طريقة أخرى، أو بأي شخص آخر ليس فارساً.

- يعني!!!

- يعني يا سيدي الأستاذ.. لا شيء يعوض الفارس الحقيقي عن القتال الفعلي من أجل وطنه!! ماذا لو أن الفارسان لم يذهبوا؟!.. المعركة كانت قد حدثت!!.

وتلامست عجلات الطائرة وأرض الوطن، فسرت روح في جسده المرهق، ولم تمض لحظات حتى كان في صالة الوصول، ومنها تحدث مع أسرته بالهاتف تصادف أن جدته كانت الطرف الآخر، بادرته:

- كلنا بخير، أمك وأخوك علي وجميع الأهل.. خليك عندك يمه.. عندنا حر وطورز، وبنفكر نسافر عندك.. خليك يا سليمان.

- وين أخليني يا جدتي؟

- بسويسرا..

- أنا بالمطار!!.

- مطار سويسرا!!.

فروسيبة
قفزة





- مطار الكويت يا جدتي.. قولي لعلي يحضر بسيارتي..

صدمة. صمت.. أفلت الكلمات مرتجلة: إنا لله وإنا إليه راجعون.. لم تكن لدى أحد الفرصة لسؤاله لماذا حضر في هذه الظروف، فقبل أن يصف ثيابه في خزانته كانت أخبار الغزو تقتتحم الشوارع والبيوت وتكتسح القلوب. حاصرته عيون أهله بالكلمة، التي لم يقلها أحد صراحة: ليتك ما حضرت.. أكثر الناس تفكير الآن كيف تنجو بنفسها من مواجهة الإعصار. جلس على السجادة واستند على الكرسي الضخم بظهره، وقال: تأخرت، الواجب أن أكون هنا من يومين على الأقل.

قالت الأم: نريد تخزين بعض الطعام.. لا نعرف ماذا سيحدث.

وقال علي - الذي يصغره بعام واحد: ماذا سنفعل؟ كنت أمارس النشاط الصيفي مع أصدقاء البيئة.. أعداء البيئة شغلوا المكان!!.

قال سليمان: البدوي أعطانا النموذج، حين يهاجم الطوز يحمي عينيه وفمه وأنفه بشماغه، ولا يواجه الهواء المترتب بوجهه، إلى أن تهدأ الأمور، ثم يبدأ في الحركة.. ومثل ما قال بدر هناك: لكل حادث حديث دمعت العيون.. ولم تدمع له عين.

شهقت الصدور.. واحتبس نفسه وانتظم كأنه نائم يحلم وارتجلت الأيدي عصبية، والأصوات توترة.. ولم يتغير فيه شيء..

خافت الأم، وخافت الجدة من حالة الصمت التي غرق فيها.. لكنه اختباً داخل نفسه،اليوم من آب الأسود. في اليوم التالي سكن الغبار بعض الشيء، وظهرت بعض ملامح الصورة.



حينئذ.. أمسك بسماعة الهاتف وبدأ تكوين مجموعته التي تبدأ بأخيه علي، وصديقه وزميله القديم بدر الخضاري، وصديقه الآخر ناصر الهاجري.. وغيرهم. ودعاهم إلى أول اجتماع في سرداد بيت جدته.

فشل المفاوضات، أو على الأقل تعثرت. وافق الغزاة على الانسحاب من حول القصر الأحمر، ومن الجهراء كاملة، ولكن مندوبيهم تمسك بحقهم في الاحتفاظ بما أخذوا من غنائم الفلاحين وممتلكاتهم من الجمال والخيل والخراف والبقر بدعوى أن هذه غنائم حرب ليس لأحد الحق فيها باستثناء المقاتلين الذين استولوا عليها. وتمسك الشيخ سالم بمبدأ أن الغزو باطل واعتداء، وكل ما ينتج عن الباطل هو باطل مثله، وخطأً واجب التصحيح، ولذلك لابد من إعادة كل الغنائم المزعومة لأصحابها، لأنها ليست غنائم، بل هي اغتصاب واختلاس ولوح المهاجمون بأنهم مع دخول الليل سيتقدون لاحتلال القصر الأحمر واستباحة دم ألف إنسان معتصمين بداخله، سواء كانوا من المقاتلين أو من الأطفال والنساء، وثبتت الشيخ سالم في موقعه ولم يهادن، وقال: هذه بلادنا وسندافع عنها، وليس في الهزيمة عار، الفرار أو التسليم هو العار..

قال مندوب الغزاة: اعترفوا على أنفسكم بالكفر، وادخلوا الإسلام واعتنقوا مذهبنا حتى نرحل..

قال الشيخ سالم: الدين لله وليس لكم، ونحن لم نخرج من الإسلام حتى ندخل فيه، وحرية المذهب مكفولة للجميع..

كان يطيل في المحاورة حتى تأتي النجدة من الكويت.. كان يحسب مدة وصول مرشد الشمري ومرزوق الرشيد، ومدة: إعداد



الرجال وجمع السلاح والصعود بالسفن أو بالهجن إلى الجهرة.. بل كان يفترض احتمالات يائسة.. أن الفارسين تعرضا للأسر أو القتل.

وكان المهاجرون يطيلون في المحاورة على أمل أن ينتهي المخزون في القصر من الطعام والماء، وأن يتساقط المحاصرون في داخله بالسهر والإعياء، فيتم لهم النصر دون تقديم ضحايا والمخاطرة بالهزيمة..

حين يئس المهاجرون من المفاوضة، وأن الكلام لن يوصلهم إلى تحقيق أهدافهم، وأن المحاصرين داخل أسوار القصر لن يكونوا معهم شركاء في المذهب وأسلوب الحياة.. قرروا تحقيق مبتغاهم بالقوة. بدأت الدائرة الواسعة تزحف من جميع الجهات.. وتضيق.

كانت الدائرة الزاحفة من حلقات متتابعة.. تتسع.. وتتسع من حول القصر حتى تشمل الجهراء من جميع الجهات. لم يعد بين الدائرة الأولى المهاجمة وأسوار القصر ما يزيد على قذف حجر، أو وثبة فرس.

كانت قوة الدفاع في الداخل قد كتمت أنفاسها ملتصقة بالسور، وعمّرت بنادقها بالبارود، وفي الاصطبل الخلفي امتطى الفرسان خيولهم وشحدزوا سيفهم وحشو بندقهم، واصطفوا خلف الباب الكبير ينتظرون الإشارة. الحلقة الزاحفة تتقدم، أنفاس رجالها المتتصاعدة ترسل سخونتها لتفح الأجسام فيشعر الجميع بالقوة والقدرة على الاقتحام..



فجأة..

تحولت ثقوب مجهرولة في جدران السور إلى عيون العفاريت التي ترمي بشرر حارق، فلم تمض ثوان حتى تعالي الصراخ وطلب النجاة.. سقط الصف الأول وارتقت رائحة البارود المحترق، وتراجع الصف الثاني فتولى دهس الصف الثالث.. وولت الحلقات الأدبار، تاركة ما زعمت أنه غنائمها، على قارعة الطريق..

- الحيلة يا إخواني تغلب القوة، القنفذ يحتمي بأشواكه فلا يقدر التمساح على افتراسه.

قال بدر الخضاري: وما الحيلة في السيطرات؟ وما الحيلة في السيارات التي تتدس بين البيوت كما تتدس ذرات الرمل في العيون؟

قال سليمان: نفعل ما لا يخطر لهم على خيال..

تلهم الجميع وحبسو أنفاسهم.. - نصادقهم!!

- نقيم مع أفرادهم علاقة كلام وسلام، نعرفهم عن قرب، وهذا يكشف لنا نقط ضعفهم..

اعترض أخوه علي: أولاً لن يصدقوك، وسيكونون مستفيدين أكثر منك، وثانياً هذه الصداقة لن تفهمها جماعات المقاومة الأخرى، ولن يوافق عليها من لم يعرف سببها الحقيقي من الناس..

قال ناصر الهاجري: يعني سنكون عرضة لتهمة الخيانة والتعاون مع العدو..

فترة
فروسيية



أطلق سليمان نفساً حبيساً وقال: لا بأس.. نجرب.. أقول..
دعوني أجرب وحدي.. سأكتفي منكم بالمساندة من بعيد.

مع نقطة السيطرة المتمركزة على مدخل القطعة أقام علاقة، بدأ الآخر بها فكانت الظروف مناسبة وبعيدة عن الشك. في الليل دق ثلاثة جنود الباب، فتح لهم، وأمدhem بما طلبوه من الماء البارد، ووقف يتحدث معهم.. تطوع بتقديم السجائر، وحين أخبروه بأن عندهم الكثير منها لأنهم افتحموا الجمعية التعاونية، مازحهم وقال: إذن أنا الذي أستحق إكرامكم.. ولن أشترط الماركة..

شربوا الماء البارد، وأخذوا بعض علب العصير وقوالب الثلج، وأوراقاً ليكتبوا عليها رسائل لأهلهم في العراق. أظهر أمامهم غرامه الشديد بكرة الطاولة، واستأنذن في أن ينصب طاولة أمام بيته - على الرصيف - يلعب هو وأخوه!! لم يكن هناك سبب للرفض، بل ربما لقي شيئاً من الترحيب، لأن اللعب (العلني) يجعل الشباب تحت عين المراقبة ويسلِّي الوقت. قلده (عيال) الجيران ونصبوا أمام منزلمهم طاولة أخرى..

أشاء اللعب، بعض الكرات كانت تذهب بعيداً عن موقع نقطة السيطرة، قد تصطدم برأس الجندي أو بحذائه، وهنا قد يتقطط الكرة ويعيدها مبتسمًا، أو يكشر ويدرسها بقدمه، وربما أهدأها له سليمان الذي يراه مندهشاً بحجمها وخفتها..



كان سليمان وحده يعرف سر هذه الكرات المجاورة، ولا يسمح لزميله في اللعب بلمسها، فقد غمسها في سم بطيء المفعول! أما الكرات التي تسقط بعيداً في فناء البيت المجاور، أو على أسطح الجيران، فكانت عليها حروف باهتة، مشفرة تحمل رسائل لشباب من الصامدين في موقع أخرى. في سردار بيت الجدة كانت اجتماعات جماعة «مرشد الشمري». اختار لمجموعته هذا الإسم حتى يعيد للفارس يوم معركة الجهراء اعتباره. لقد شرك في بطولته، ولكنه الآن يعرف أنه من المهم جداً في التصدي للعدو أن نقاشه جماعة، ولن يكون هذا إلا بتناقل المعلومات والاتصال والتسيق، وهذا بعض ما تؤديه كرات الطاولة الطائرة بين الأسطح وساحات البيوت.

اعتبرضت الجدة على ما يفعله الحفيد، الذي لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، مثله لم يجند في الجيش، فكيف يطالب بالقتال وهو لم يدخل أي تدريب، وصغر سنّه يعرضه لخطر الإيقاع به. لم يعترض سليمان بمبدأ الخوف، ولا مبدأ السلامة، وقال لجدته: الحذر يكفي. قالت: الحذر لا يمنع القدر، قال: هذه حكمة غالية وأن أخذ بها، فالقدر هو الكلمة النهاية في حياة الإنسان. ضاقت الجدة بالحوار وتصاعد خوفها على سليمان، فنهرته قائلة: هذا بيتي ولا أريد تعرضه للخراب، اجتمع مع ربعك في بيتك. قال: ولكن يا جدتي بيتنا قريب من موقع السيطرة، وهناك نلعب الكرة، وعيونهم.. كيف نجتمع؟ قالت: ما علىٰ من لعكم، لا تجتمع في بيتي..

فروسيبة
فترة قفزة



أظهر الطاعة ولكن الاجتماعات استمرت، وكان الدخول إلى السرداد من ثغرة في جدار كراج السيارة المفتوح على السرداد يتم دون شعور السيدة العجوز، سواء كانت حاضرة أو غائبة، وفي هذا السرداد خبأ المواد التي يستخدمها وكميات الذخيرة التي جلبها من فوائض بعض خلايا الصمود ليوصلها إلى خلايا أخرى تحتاجها. لقد اكتشف أن غضب جدته من عقد اجتماعاته عندها، واعتقادها بأنه انقطع عن هذه الاجتماعات في مصلحته، لأنها أصبحت أكثر اطمئناناً، وبذلك أصبح سلوكها طبيعياً، وأخذت تغادر بيتها إلى بيت ابنتها (أمها) في أي وقت دون خوف.

كانت إرادته تشتعل بالرغبة في أداء عمل كبير، عمل مؤثر على العدو، إنه يثمن دور الشمري والرشيد في نقل الأخبار والتسيق بين المدافعين، ولكنه يريد أن يكون خلف القصر الأحمر أيضاً، يفتح نافذة جهنمية على الصف الأول، ويرى بعينه غرور المهاجم وغطرسة المعتمدي وهي تتحول في لحظة إلى دماء وعویل وهرب. لابد من عملية كبيرة تدوي في سماع الوطن لترفع الروح المعنوية، وتدوي في سمع العالم ليعرف أن الكويت لم ترضخ، وأن البلد الصغير يستطيع بالحق والفاء أن يهزم اعتداء الأهوباء!!.

إن سنه الصغير الذي يرشحه إلى طالب في المرحلة الثانوية، وقوامه النحيل الذي لا يؤهله إلى أداء عمل عنيف ساعده على مهمة لعب كرة الطاولة على الأرصفة، مع علي أخيه حيناً، ومع من يتفق وجوده من أصدقاء خارج مجموعته حيناً، بل مع نفسه حين لا يجد أحداً، وكان يترك للكرات أن تتطلق مع تيار الهواء في الشارع



ليتابعها، ويعيد جمعها، وهو يرسم في مخيلته منافذ الأماكن، وموقع تجمعات الجنود، ومكامن سياراتهم المخفية في مداخل المباني الحكومية..

استقر الاختيار على مخفر النزهة، لو حدث، لو تم بنجاح، كم من الضباط السفاكيين لدماء شعبه سيدلوقون الجحيم على يديه؟
الآن تحدد الهدف. سيأخذ عليه موافقة «الجماعة»، لمناقشة الوسائل والتوكيل وتأمين العملية. المتفجرات موجودة - تقريباً - عندة في السردار ما يكفي، سردار بيت الجدة. لكن هل تكون الطريق إدخال قبلة موقوتة مموهة، أم بهجوم مباغت قبيل الفجر، أم بتفخيخ سيارة يقودها بنفسه ويقتحم بها مدخل المخفر؟!

«لابد أنها كانت قفزة فروسية رائعة، تلك التي قفزها الرشيد والشمرى من داخل القصر الأحمر، لينطلقوا بفرسيهما إلى أهل الكويت بقصد إبلاغ الرسالة وتحفيز المقاومة» كان في بيته متحللاً مع العائلة حول الغداء. كان الطعام فقيراً جداً، فبعد سبعة وثلاثين يوماً من الاحتلال ونهب الأسواق لم يبق في البيوت شيء. لكنه كان راضياً بأن الجميع في سلام، حتى جدته، التي كانت تعتقد أن لعب كرة الطاولة هو شاغله الوحيد، بدت راضية عنه. قرب انتهاء الطعام نظر إلى ساعته.. وحده أخوه علي عرف ما يقصد. إنهم على موعد لبحث خطة مخفر النزهة، إلى السردار في بيت الجدة يتسللون.. شخص واحد كل نصف ساعة.. حتى يتم التجمع، وقد حان وقت ذهاب علي.. سيكون سليمان الأخير، وسيكون هذا الاجتماع الأخير تمهيداً لعملية النزهة.

قفزة
فروسية



قبل أن يرفع الطعام كانت ثلاثة سيارات جيب تحاصر البيت. اتصل الاقتحام بالتفتيش الفوري الشامل، باحتجاز الجميع في الديوانية قرب المدخل، أشار على الجميع بعدم إظهار أي مضائق حتى لا يتذدونها سبباً في تدمير البيت أو تحطيم الأثاث.. كان مطمئناً إلى أن البيت ليس به أي سلاح. لكنه كان مخطئاً في هذا، فقد كان «علي» حصل على رشاش، ولم تكن عنده فرصة لإخباره، أو لنقل الرشاش إلى بيت الجدة. وهكذا عثرت قوة التفتيش على هذا الرشاش مفكوكاً إلى قطعتين وموضوعاً في داخل جهاز تكييف قديم، صدئ، مهملاً في غرفة السائق السيلاني، الذي عاد إلى بلاده!!

كان ظهور الرشاش مفاجأة لسليمان، ولم يكن كذلك لعلي، ومع هذا فإن سليمان هو الذي أسرع بالجواب:

- هذا بيت أبي، وهذا الرشاش أنا المسؤول عنه، والمسؤول عن أي شيء آخر في هذا البيت.

كان قد «حسب» الموقف كله في أقل من لحظة.. لابد من حماية علي، وعدم تعريضه للتعذيب، ولابد من إشغال المجموعة، بأن يقتادوه ويتحققوا معه حول الرشاش حتى يعرف باقي الجماعة في سرداد بيت الجدة بما جرى ويتذكروا من الهرب ونقل الذخيرة والمنشورات، ولابد من الاعتراف السريع بملكية الرشاش حتى لا يلحق الأذى بأمه وجدته.

يا للسخرية المريعة.. لقد جرى التحقيق معه في مخفر النزهة، إنه لا يمانع الآن أن تقوم مجموعته بنصف المخفر وهو فيه ولكن



خطوط التنفيذ واحتياطاته مكتوبة في ذاكرته وليس في أوراق، فهل يستطيعون؟ كان حلمه بنصف المخفر يساعد له على تحمل التعذيب، بعد أن تم نقله إلى معقل نادي كاظمة الرياضي. هناك كان «اللعبة» دون قواعد أو قوانين أو حكم، كان النادي قد تحول إلى مجرز آلي، يتم فيه سلخ الجلود الآدمية وتحويل الجسد الذي كرمه الله وأمر بستره إلى أشلاء عارية. إنه يعرف الآن أن الفرق بين الشجاعة والجبن صرخة واحدة، بل دقققة صمود واحدة يأتي بعدها الموت المريح، ولا يعطي العدو فرصة الشماتة والراحة. إنه الآن سعيد جداً لأن سر كرات الطاولة الملوثة بالسم البطع قد عرف، لقد تكررت إغماءات الجنود في تلك النقطة للسيطرة، ومات أحدهم، وأصيب آخر بالشلل، فوجد التلوث بالسم على مقبض السلاح، وقد أدى هذا إلى كشف المصدر الحقيقي.. وهو كرات الطاولة المهملة حول الموقع. لقد دفعوا إلى جوفه عدداً من الكرات نفسها، وثقبوا فخذنه بمثقب كهربائي.. ثم نقلوه من زحم الغرف المغلقة إلى عزلة كاملة حتى ينهاه نفسياً، لكن ذكرياته وإرادته الحديدية كانت تسعفه، إنه يتذكر الآن مجلسه مع بدر آخر يوم على قهوة أبو ناشي في جنيف، ويتذكر رحلته في الطائرة، وحواره مع المدرس حول معركة الجحاء، والحلم الذي يعيش من أجله، نصف مخفر النزهة.. لكن كيف سيفعل هذا وهو الآن.. لا يستطيع المشي على قدميه!؟.



أخيراً.. أركبوه سيارة بعد سبعة وثلاثين يوماً أخرى من التعذيب..
 أمام منزله.. في المكان الذي شهد نصب طاولة الكرة، وتصويبات
 المضرب الذكية المسمومة في اتجاه الجنود.. قيدوا يديه خلفه، ألقوه
 على بطنه.. التقطت أذنه تجهيز السلاح للإطلاق.. تشهد.. استحضر
 صورة الرشيد والشمرى.. يا لها من فقرة فروسية رائعة، أوصلت
 الرسالة.. وبلغت الأمانة!!.